بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مَدْخَلٌ إلَى نَقْضِ الْإلْحَاد



أَبُو المُنْتَصِر مُحَمَّد شَاهِين التَّاعِب

www.alta3b.wordpress.com

إشكاليَّات قد تؤدِّي إلى الإلحاد!

- التُّراث الغربي يرى أنَّ العَقْل يتناقض مع النَّقل.
- يتساقط الشباب في مُستنقع الإلحاد في المُجتمعات الإسلامية التي يسود فيها خطاب ديني غريب عن العصر، أو غارق في الجُمُود والتَّقليد.

يُطلق القرآن الكريم على المُنكرين لوُجُود الله عزَّ وجلَّ اسم «**الدَّهرية**»، وقال فيهم: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤]

← خُطُوات تؤدِّي إلى الإلحاد!

- ما تعرَّض له العُلماء من تنكيل واضطهاد على أيدي رجال الكنيسة!
- الشُّعُور بأنَّ الإله ليس له علاقة مُباشرة بالكون والإنسان! وإن وُجِدَت عِلاقة فهي غير مُباشرة وبعيدة!
- الاعتقاد بأنَّ الكون مثل السَّاعة الزَّنبركية! تُملأ ثمَّ تُترك لتعمل دون الحاجة لإله!
- نجاح العِلْم في التَّنبُّؤ بالظَّواهر الطَّبيعية، ممَّا أقنع الإنسان بجدوى اللُّجوء للعِلْم بدلاً من الإله!
- بعد أن تلاشى دور الإله في حياة البشر! لم يعد هُناك مُبرِّر لأن يضع لهم منظومتهم الأخلاقية! وارتبطت القِيَم الأخلاقية بمصالح البشر المادِّيَّة العاجلة!
- العِلْم قدَّم للإنسان الكثير (مُتوسِّط عمل أطول – إنجازات علمية وحضارية – ثراء ورفاهية)، فتبدَّلت عقيدته من الإيمان بالإله، إلى الإيمان بالعِلْم وقُدراته وإنجازاته!
- يرى بعض النَّاس أنَّ الإله خلق العالم ووضع فيه قوانين الطَّبيعة التي تُسيِّره! وهذا يعني أنَّ الإله الخالق لم يعد يفعل شيئاً لنا، وأنَّه ببساطة: إله لا أهمية له ولا احتياج إليه!

← ينبني الفكر الإلحادي المُعاصر على المفاهيم التالية

١. نشأة الكون تلقائياً نتيجة لأحداث عشوائية **بدون الحاجة إلى صانع!**
٢. ظهرت الحياة ذاتياً من المادَّة عن طريق قوانين الطَّبيعة!
٣. الفرق بين الحياة والموت فرق فيزيائي بحت، سيتوصَّل العلم إليه يوماً ما!
٤. الإنسان ليس إلَّا جسد مادِّي، يفنى تماماً بالموت، فليس هُناك وُجُود للرُّوح!
٥. ليس هُناك بعث بعد الموت!

٦. من كُلّ ما سبق: ليس هُناك حاجة إلى القول بوُجُود إله!

رسم الخُطَط: البديل عن الإله

- الملاحدة الجُدُد المُعاصرون يرسمون الخُطط من أجل إيجاد البديل عن الإله!
- يُريدون وضع منهج حياة يسلكه كلّ لا ديني يتخلَّى عن فكرة الإله!
  - **مفاهيم الإلحاد الجديد المُعاصر:**
    - الدِّين وهمٌ خطير! يؤدِّي إلى العُنف والحُرُوب!
    - ينبغي التَّخلُّص من الدِّين! وسيقوم العِلْم بهذه المُهمَّة!
    - لا نحتاج لإله لنكون على خُلُق! فالإلحاد يُمكن أن يكون مُنطلقاً قويًّا للأخلاق!

الفكر المادِّي والحضارة المادِّيَّة

- العقل المادي لا علاقة له بالأخلاق أو بالأسئلة الخاصَّة بمنشأ الإنسان ومآله والغرض من وجوده في الكون أو بالمُقدَّس أو بما يتجاوز عالم الحواس الخمس المُباشر!
- ولا يعترف بوجود قِيَم أخلاقية أو إنسانية ثابتة مُستقرَّة!
- ويرى أنَّ كلّ شيء في حالة تغيُّر وتحوُّل دائمين!
- ولذا يفرض على الإنسان أن يستمدّ قيمه من واقعه المُتغيِّر! وهذا هو الفكر العلماني!
- المادِّيون يفترضون أنَّ وُجُود فوائد وراء فكرة الإله والدِّين يعني أنَّ الإنسان قد اخترعها لتحصيل هذه الفوائد، ومن ثمَّ اعتبروا أنَّهم إذا أثبتوا وجود هذه الفوائد فقد أثبتوا أنَّ الألوهية والدِّين من اختراع الإنسان!

الدَّاروينية ونقض سريع لها!

نظرية دارون هي: تطوُّر الكائنات الحيَّة عن طريق الانتخاب الطَّبيعي من بين طفرات عشوائية!

الحياة بدأ بخلية مُفردة أوجدها الإله الخالق! ثمَّ تطوَّرت الأجيال المُتتابعة من هذه الخلايا، فنشأت منها الكائنات عديدة الخلايا، وتميَّزت إلى كائنات نباتية وأخرى حيوانية! كائنات حيوانية لا فقرية، ثمَّ الفقارية بدأت بالأسماك، ثمَّ

البرّمائيات، ثمَّ الزَّواحف، وتطوَّرت بعض الزَّواحف إلى الطيور والثَّدييات، وظلَّت الثدييات تتطوَّر حتى وصلنا إلى الرئيسيات التي منها القِرَدَة، ويأتي على رأسها الشمبانزي، ثمَّ الإنسان.

النَّظرية تقول إنَّ الشمبانزي يجمعه بالإنسان سلف مُشترك! والنَّظرية بذلك تقول إنَّ الشَّمبانزي ليسوا أسلافنا، ولكنَّهم أبناء عمومتنا!

أثبت العلم عجز الطَّفرات العشوائية عن إحداث التَّطوُّر! البيولوجيون يُقدِّرون أنَّ ٩٩٪ من الطَّفرات العشوائية التي تحدث في الشَّفرة الوراثية تكون ضارَّة! بينما قد تكون ١٪ منها مُفيدة! وقد أجرى الباحثون التَّجارب على ذبابة الفاكهة وعلى البكتريا القولونية فعجزوا عن الحصول على طفرة واحدة مُفيدة خلال آلاف الأجيال التي استكثروها!

يقول مايكل روس (وهو فيلسوف تطورِّي مُنصف): «**يكمُن الصِّراع في مُحاولة استغلال الكثيرون لنظرية التَّطوُّر لنفي وجود الإله. لقد صار التَّطوُّر بالنِّسبة لأنصاره ديانة لا إلهية**».

← المسألة الأخلاقية في مُقابل الدَّاروينية!

يَسهل تفسير دافع الأنانية بآلية الغاية تُبرِّر الوسيلة، فمن الصَّعب تفسير دافع الضَّمير، أمَّا دافع الإيثار، فسيظلّ بمثابة الصَّخرة الكؤود في طريق التَّطوُّر الدَّاروِيني. لا شكّ أنَّ الإيثار من أصعب الأخلاق التي يعجز التَّطوُّر عن تفسير نشأتها، فالإيثار يعمل ضدّ هدف التَّطوُّر الرَّئيسي، وهو المُحافظة على حياة الفرد، فما الذي يدفعني للتَّضحية بذاتي من أجل المُجتمع والجنس البشري؟!

إنفاق الوقت والجهد والموارد من أجل المُحافظة على شريحة غير مُفيدة للمُجتمع يتعارض بشكلٍ صارخٍ مع الانتخاب الطَّبيعي الذي يُحافظ على الأصلح، ويتخلَّص من الَّضار، فهل يعمل التَّطوُّر ضدّ قوانينه؟!

قاعدة داروينية شديدة الخطورة: وصفنا لسلوك ما بأنَّه جيِّد أو سيِّء يكون من مُنطلق الفائدة المادِّيَّة، وليس القيمة الأخلاقية، أي ليس هُناك أخلاق فاضلة وأخرى دنيئة! لكن هُناك سُلُوكيات ومفاهيم تُعين أو لا تُعين بشكل مُباشر أو غير مُباشر في الصِّراع من أجل البقاء.

فيلسوف الإلحاد توماس هوبز اعتبر أنَّ الطَّبيعة ليست إلَّا مادَّة مُتحرِّكة، وبالتالي فهي ليست فاضلة أو غير فاضلة، إنَّها فقط لا تُبالي بالفضائل، لذلك لا ينبغي أن نتحدَّث عن خيرٍ وشرّ مُجرَّدين، تماماً مثلما لا نتحدَّث عن تفاعل

كيميائي خيِّر وآخر شرير، إنَّها أمور تحدث بالضَّرورة، ومن ثمَّ فالخير والشَّرّ ليسا إلَّا انعكاساً لرغبات الإنسان، ما يُحبّ وما يكره، ومن ثمَّ فهي مفاهيم نسبية، فأخلاق الإنسان عند المادِّيِّين ليست إلَّا تفاعلات مادِّية.

نيتشة فيلسوف النَّازية: إنَّ كوناً بدون إله يكون خالياً من مفاهيم الخير والشَّرّ، بل إنَّ هذه المفاهيم ليست إلَّا تصوُّرات يفرضها الإنسان على الكون الذي لا يُبالي به.

ادَّعى الملاحدة أنَّ الثَّورة العلمية شاركت في تشكيل منظومتنا الأخلاقية المُعاصرة.

أينشتين يقول: لا يُمكن أن يكون العلم مصدراً للأخلاق، لا شكّ أنَّ هُناك أسساً أخلاقية للعلم، لكنَّنا لا نستطيع أن نتحدَّث عن أسس علمية للأخلاق، لقد فشلت وستفشل كلّ المُحاولات لإخضاع الأخلاق لقوانين العلم ومُعادلاته.

الفيزيائي ريتشارد فينمان الحائز على جائزة نوبل يقول: إنَّ أكبر القُوى والقوانين الفيزيائية لا تستطيع أن تُبيِّن لنا كيف نستخدمها، إنَّ العلم لا يُعرِّفنا الخير والشَّرّ، لذلك فالقيم الأخلاقية تقع خارج مجال العلم، لقد جعلنا العلم أكثر معرفة وأكثر قُوَّة، لكنَّه تركنا في الوقت نفسه أقلّ ثقة بالصَّواب والخطأ.

دوكنز زعيم الملاحدة يرفض أن تكون أخلاق التَّطوُّر هي مرجعيتنا، ويقول: إنَّ الانتخاب الطَّبيعي في التَّطوُّر الدَّارويني لا يُنتج إلَّا أمثال هتلر! والمُجتمع الدَّارويني لا يكون إلَّا مُجتمعاً فاشستي ينتشر فيه التَّعصُّب العنصري والتَّصفية العرقية.

يطرح الفيلسوف الألماني الكبير «**إيمانويل كانت**» ما يُعرف بالدَّليل الأخلاقي للاستدلال على تواصل السَّماء بالأرض، ويشرحه قائلاً: «**إنَّ ظمأنا للماء هو دليلنا على وجود الماء!، ويعني ذلك أنَّ الطِّفل يظمأ للماء قبل أن يعرف بوجوده! حتى أنَّ هذا الظَّمأ هو أكبر دليل على وجود الماء**»، ويقيس على هذه الحقيقة قائلاً: «**كذلك شوقنا للعدل هو الدَّليل على وجود العادل!، فالإنسان يُشاهد ما في الوجود من ظُلمٍ، ولا يستسيغ أن تنتهي الحياة على الأرض وينجو الظالم بظُلمه دون قصاص، لذلك يرتاح الإنسان كثيراً لفكرة البعث والقصاص في حياة آخرة**».

الأفكار الأساسية بخُصُوص إثبات الإله الخالق

- **الفِطْرَة السَّليمة**
  - الإنسان كائن دَيِّن بطبعه!
- **العقل الصَّريح**
  - مبدأ «**السَّببية**»: المخلوق لابُدَّ له من خالق!
  - إثبات أنَّ الكون له بداية (نظرية الانفجار الكوني الأعظم)
  - نظرية الضَّبط الدَّقيق في مُقابل العشوائية أو الصُّدفة!
  - تعقيد الخلية الحيَّة في مُقابل العشوائية أو الصُّدفة!
  - لُغة الإنسان كظاهرة جديدة تماماً في مُقابل العشوائية أو الصُّدفة!
  - الكون كلُّه مُسخَّر للإنسان وخدمته!
- **الحِسّ المشهود** (مثل: إجابة الدُّعاء!)
- **الشَّرع الصَّحيح!**

أوَّلاً: الفطرة السَّليمة

- الفِطرة السَّليمة تشهد بوجود الله من غير دليل!
- القرآن يُقرِّر أنَّ الفطرة السَّليمة، والنُّفُوس التي لم تتقذَّر بأقذار الشِّرك والشَّهوات والشُّبُهات، تُقرّ بوجوده من غير دليل!
- العِلْم بالله عزَّ وجلَّ أمرٌ فطريّ ضروريّ، ولهاذا جاءت الرُّسُل لتأمر الخلق أن يعبدوا الله وحده، وأن يُطيعوا رُسُله، لا بأن يكتسبوا علماً نظرياً بوجود الخالق.
- معرفة الله تعالى الفطرية في النَّفس البشرية يُدعِّمها الرسول ص ويُفصِّلها، فهو المصدر الوحيد الهادي لمعرفة الله تعالى وعبادته لمن يرغب بإخلاص وتجرُّد.
- العبد مفطورٌ مخلوقٌ على الإقرار بأنَّ الله سُبحانه هو خالقه، فالإقرار بالصَّانع أمرٌ فطريّ.

الأدلَّة الشَّرعية

- ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم : ٣٠]
- قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ». (**البُخاري** ١٣٥٨ و**مُسلم** ٢٦٥٨)
- قَالَ اللهُ تَعَالَى: «كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ». (**صحيح مُسلم** ٢٨٦٥)

مفاهيم الفِطرة

- المفاهيم الدِّينية فطرية عند البشر
- الحِسّ الدِّيني جُزء من بنيتنا النَّفسية وهو مُسجَّل في جيناتنا
- الشُّعُور بثنائية الجسد والروح أمر فطري مزروع فينا مُنذ ولادتنا
- دُمغ في جيناته الإيمان بحياة أخرى
- الاهتمام بالقضايا فوق الحسِّيَّة والعقيدة والاستقامة الأخلاقية ونفاذ البصيرة وقوَّة الحدس
- الشعور بالإله، والرَّغبة في التَّوجُّه إليه بالعبادة
- الشُّعُور بوجود النَّعيم والعذاب في حياة أخرى بعد الموت

الإنسان كائن دَيِّن بطبعه

تصف عالمة الاجتماع الشَّهيرة المُهتمَّة بالدِّيانات «**كارين أرمسترونج**» الإنسان بأنَّه «**كائن روحي**»، وتقترح اسماً آخر للجنس البشري، وهو «**الإنسان الدَّيِّن**»، بالإضافة إلى اسمه الذي يُوصف به في علم البيولوجيا، وهو «**الإنسان العاقل**»، وتؤكِّد أنَّ المفاهيم الدِّينية فطرية عند البشر.

الإنسان عاطفي بطبعه، وأنَّ هذا الحِسّ مُسجَّل في جيناتنا. المفاهيم الأخلاقية مدموغة في جينات الإنسان مُنذ نشأته. الحِسّ الدِّيني جُزء من بنيتنا النَّفسية وهو مُسجَّل في جيناتنا. الشُّعُور بثنائية الجسد والروح أمر فطري مزروع

فينا مُنذ ولادتنا، دُمغ في جيناته الإيمان بحياة أخرى، تحيا فيها الروح بعد مُغادرة الجسد الفاني، وهذا الإيمان هو أصل الفطرة الدِّينية.

في عام ١٩٨٣م قدَّم «**هارود جاردنر**»، أستاذ علم النَّفس بجامعة هارفارد، نظرية الذَّكاء المُتعدِّد، وفي هذه النَّظرية أثبت جاردنر وجود عشرة أنواع من الذَّكاء الإنساني، يشغل كلّ منها مركزاً مُستقلاً في المُخّ، تمَّ تحديده بالفحوصات الإشعاعية الحديثة، ومن هذه الأنواع: الذَّكاء الرُّوحي، الذي يهتمّ بالقضايا فوق الحسِّيَّة والعقيدة والاستقامة الأخلاقية ونفاذ البصيرة وقوَّة الحدس. إنَّ ذلك يعني أنَّ هذه المفاهيم مُبرمجة فطرياً في دوائر أمخاخنا.

توصَّل «**دين هامر**»، رئيس مركز أبحاث الجينات بالمعهد القومي للسَّرطان بالولايات المُتَّحدة، إلى مجموعة الجينات المسئولة عن تشكيل تلك المراكز المُخيَّة، وأطلق على أهمّ هذه الجينات اسم جين الألوهية (معروف عند عُلماء الجينات باسم VMAT2).

الشعور بالإله، والرَّغبة في التَّوجُّه إليه بالعبادة، وكذلك الشُّعُور بوجود النَّعيم والعذاب في حياة أخرى بعد الموت، أمور فطرية عند البشر، في جميع الحضارات عبر التاريخ والجغرافيا.

المصائب تُصفِّي جوهر الفِطرة!

- ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ (١٥٦) أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)﴾[البقرة]
- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٤٣) فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥)﴾[الأنعام]
- ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٢) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (١٣٣) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ

بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٣٤) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ (١٣٥) فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦)﴾[الأعراف]

- ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٢) فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٣)﴾[يونس]
- ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ (٦٣) حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ (٦٤) لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ (٦٥)﴾[المؤمنون]
- ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥)﴾ [العنكبوت]
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣١) وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (٣٢)﴾[لقمان]

كُفر النَّاس اليوم أعظم!

- الانحراف اليوم وصل الدَّرك الأسفل! فأصبحنا نرى أقواماً يزعمون أن لا خالق! ويجعلون هذه المقولة مذهباً وديناً يُقيمون عليه حياتهم! وقامت دول على هذا المذهب تُعدّ بمئات الملايين من البشر!

ثانياً: العَقْل الصَّريح

← مبدأ «السَّببية»: المخلوق لابُدَّ له من خالق!

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ (٣٧)﴾[الطور]

إن شيئاً من المُمكنات لا يحدث بنفسه من غير شيء؛ لأنَّه لا يحمل في طبيعته السَّبب الكافي لوجوده، ولا يستقلّ بإحداث شيء؛ لأنَّه لا يستطيع أن يمنح غيره شيئاً لا يملكه هو.

إذا كُنَّا لا نستطيع "تصوُّر" الإله الذي لا مُوجد له، فإنَّ الإقرار العقلي بهذا الإله يُصبح أمراً لا مفرّ منه منطقياً، والإقرار العقلي بمفهوم ما مع العجز عن تصوُّره ليس بالأمر المُستحيل، بل إنَّه يُقابلنا في حقائق العلم!

الفيزياء الحديثة (الكوانتم) تُخبرنا أنَّ الجسيمات تحت الذَّرِّيَّة يُمكن أن تُوجَد في أكثر من موقع في وقتٍ واحدٍ! إنَّها حقيقة علمية وإن كان يستحيل تصوُّرها!

شرح دارون عقيدته قائلاً: «**من الصَّعب جداً، بل من المُستحيل، أن يكون كوناً هائلاً ككوكبنا، وبه مخلوق يتمتَّع بقُدراتنا الإنسانية الهائلة، قد نشأ في البداية بمحض الصُّدفة العمياء! أو لأنَّ الحاجة أم الاختراع! وعندما أبحث حولي عن السَّبب الأوَّل وراء هذا الوجود، أجدني مدفوعاً إلى القول بمُصمِّم ذكي، ومن ثمَّ فإنِّي أؤمن بوجود الإله!**».

← إثبات أنَّ الكون له بداية!

- إثبات أنَّ الكون يتمدَّد.
- تناقص حرارة الكون تدريجياً، فلو كان الكون أزلياً لوصل إلى العدم الحراري، ممَّا يعني فناء الكون، لذلك فبقاء كوننا حتى الآن يعني أنَّه ليس أزلياً.
- تسجيل الضَّجيج الكوني الذي صاحب الانفجار الأعظم الذي أنشأ الكون.
- توزيع العناصر الخفيفة (الهيدروجين والهيليوم) بشكل مُتساو في مُختلف أرجاء الكون يُثبت أنَّ الكون نشأ بحادث واحد مهول مُنتج للحرارة، وهو الانفجار الكوني الأعظم.

← أكثر النَّظريات قُبُولاً لتفسير نشأة الكون

نظرية الانفجار الكوني الأعظم Big Bang Theory

- انطلاقاً من حقيقة أن الكون يتمدَّد، فإذا رجعنا إلى الوراء يوماً قبل يوم نجد أنَّ الكون كان أصغر وأصغر، وهكذا حتى نصل إلى يوم كان الكون مُجرَّد نقطة تحمل كُتلة وطاقة الكون كلّه!
- هذا اليوم يرجع إلى قُرابة ١٣,٧ مليار سنة!

- النُّقطة التي بدأت منها نشأة الكون اسمها المُفردة Singularity، وفي يوم لا أمس له انفجرت تلك المُفردة فأطلقت كل ما في الكون من طاقة!
- تكثَّف بعضٌ من طاقة الكون إلى ما تكوَّنت منها مجرَّات الكون، بما فيها من نجوم وكواكب منها كوكبنا الأرض.
- قبل وجود المُفردة لم يكن إلَّا عدم مُطلق! بانفجارها نشأت الطاقة والمـادة كما بدأ الزَّمان ونشأ المكان.

تشمل نظرية الانفجار الأعظم على عدد من المعالم الخارقة والتساؤلات التي لا يملك العلم لها تفسيراً:

- ما مصدر المُفردة التي ظهرت من العدم؟
- ما مصدر قوانين الطَّبيعة التي وجَّهت نشأة الكون؟
- اتَّسمت المُفردة بعدد من الصِّفات التي تتجاوز قوانين الطَّبيعة! فقد كانت أصغر من أصغر طول تسمح به قوانين الطَّبيعة! كما كانت كثافتها تفوق الحدّ الذي تسمح به هذه القوانين!
- ينصّ القانون الثاني للدِّيناميكا الحرارية على أنَّ: في منظومةٍ ما، تؤدِّي الفوضى إلى مزيد من الفوضى، فما هو المُنظِّم الذي نظَّمها لِيُنشئ المجرَّات بما فيها من نُجُوم وكواكب؟!
- تجاوزت سرعة تمدُّد الكون سُرعة الضوء بمليارات المرَّات، بينما الثابت أنَّ سُرعة الضوء هي أعلى السُّرعات في الطَّبيعة!
- لـماذا انقطع العدم المُطلق ليبدأ الوُجُود في هذه المرحلة بالذَّات؟!
- ما هو العامل المُرجِّح الذي حدَّد أو قرَّر ذلك؟!

الملاحـدة ونشـأة الـكون:

- الكون قد شكَّل ذاته!
- قوانين الطَّبيعة سبب نشأة الكون!
  - النَّظريات والقوانين تصف مسار الأمور بدقَّة لكنَّها لا تُخرج شيئاً من للوجود.
  - **فرضية الأكوان المُتعدِّدة!**
    - أي احتمالية وجود ما لا نهاية له عدداً من الأكوان بعدد الظُّرُوف الفيزيائية المُحتملة!

← نظرية الضَّبط الدَّقيق (Fine Tunning) في مُقابل العشوائية أو الصُّدفة!

- ثوابت الكون الفيزيائية تمّ ضبطها بدقَّة مُتناهية بحيث يتلاءم بعضها مع بعض بالهيئة التي سمحت بنشأة الكون، من هذه الثَّوابت: سُرعة تمدُّد الكون – توزيع المادَّة في فراغ الكون – مقدار الجاذبين بين الأجرام السماوية – مقدار سرعة الضوء.
- أدنى تغيُّر في مقدار هذه الثَّوابت ولو بجُزء من مليار جزء ما كان ليسمح بنشأة الكون واستقراره.
- تدل دقَّة بنية الكون وقوانينه على وجود الإله الحقّ.

مثال نقله «**وحيد الدِّين خان**» عن العالم الأمريكي «**كريستي موريسون**» يُبيِّن فيه استحالة القول بوجود الكون مُصادفة! قال: «**لو تناولت عشرة دراهم، وكتبت عليها الأعداد من واحد إلى عشرة، ثمَّ رميتها في جيبك، وخلطتها جيِّداً، ثمَّ حاولت أن تُخرج من الواحد إلى العاشر بالتَّرتيب العددي، بحيث تلقي كلَّ درهم في جيبك بعد تناوله مرَّة أخرى، فإمكان أن نتناول الدِّرهم المكتوب عليه واحد في المُحاولة الأولى هو واحد في العشرة، وإمكان ان نُخرج الدَّراهم (١، ٢، ٣، ٤) بالتَّرتيب من ١ إلى ١٠، واحد في عشرة بلايين!**».

← تعقيد الخلية الحيَّة في مُقابل العشوائية أو الصُّدفة!

جزيئات الدنا DNA لولبية الشَّكل تُكوِّن كروموسومات الخلية، يوجد ٢٣ زوجاً من الكروموسومات في نواة كلّ خلية، يبلغ طول كروموسومات كلّ خلية ٢,٠٤ متر، يبلغ طول سلاسل جزيئات الدنا في خلايا جسم الإنسان الواحد قرابة ٢٠٤ مليار كيلومتر، أيّ أنَّها تقطع المسافة من الأرض إلى الشَّمس قرابة ١٣٦٥ مرَّة، قد تؤدِّي إصابة أي حلقة من حلقات هذه السلسلة والتي تبلغ ٧ مليارات حلقة في الخلية الواحدة إلى موت الجنين أو إصابته بمرض خلقي خطير!

إنَّ مُكوِّنات الذَّرَّة (إلكترونات – بروتونات – نيوترونات) تُنتِج بخلطة مُعيَّنة حفنة من الرِّمال! ونفس المُكوِّنات أنتجت خلايا مُخ أينشتين! إنَّها نفس مجالات الطَّاقة!

أهمّ ما يُميِّز الخلية الحيَّة عن الموجودات غير الحيَّة أنَّها موجود ذكي يُمارس عدداً من النَّشاطات، لابُدَّ من الإقرار بحتمية أن يكون مصدر الحياة الذَّكية إله خالق ذكي!

كيف استطاعت الطَّبيعة، دون توجيه ذكي من إله، أن تُوفِّر المعلومات الهائلة المطلوبة لنشأة الحياة وتنظيمها، والتي تبلغ ملايين البيتات Bits؟! في الوقت الذي أثبتت فيه الدِّراسات عجز الكمبيوتر عن الحصول بالصُّدفة على مقولة لشكسبير تحتوي على ٤٠٠ بت من المعلومات فقط!

تستخدم الخلية في الاحتفاظ بالمعلومات ونقلها نظام الشَّفرة، فللخلية أبجدية تتكون من ٤ حروف (٤ مركَّبات كيميائية) تتراص في نواتها بطُرُق مُختلفة لتُدوِّن الكمّ الهائل من معلومات الخلية، إنَّ آلية التَّشفير هذه تفوق أدقّ آليات التَّشفير التي ابتكرها الإنسان ويستخدمها في أحدث اختراعاته!

جُزيء الهيموجلوبين الذي يحمل الأوكسجين في كرات الدمّ الحمراء، يتكوَّن من ٤ سلاسل من الأحماض الأمينية، يبلغ مجموعها ٥٣٩ حمضاً أمينياً هي تكرار لعشرين نوعاً من هذه الأحماض، عدد التَّرتيبات المُحتملة التي يُمكن أن يتراص بها الـ ٥٣٩ حمضاً أمينياً يبلغ رقماً مهولاً، مقداره (١) وعلى يمينه ٦٢٠ صفراً! ترتيب واحد هو المطلوب كي يؤدِّي الجزيء وظيفته في نقل الأوسوجين في جسم الإنسان!

أهم عملية في تخليق جُزيء البروتين هي الهيئة التي تلتف بها هذه السلاسل! إنَّها عملية بالغة التَّعقيد!

إذا وضعنا المعلومات المطلوبة للفّ سلسلة جُزيء بروتيني صغير يتكوَّن من مائة حمض أميني مثلاً في سوبر كمبيوتر ليقوم بهذه العملية بمُحاولات عشوائية، فإنَّه سيستغرق حوالي (١) وأمامه ١٢٧ صفراً من السَّنوات! بينما يتمّ ذلك في الخلية الحيَّة في جُزء ضئيل من الثانية!

مُعضلة البيضة والدَّجاجة! العلاقة بين جزيئات البروتينات وجزيئات الدنا DNA، بناء جزيئات البروتين يحتاج إلى وجود الشَّفرة الوراثية، عمل جزيء الدنا يحتاج إلى جزيئات البروتينات!

البروتينات لا تنشأ دون الدنا! والدنا لا يعمل إلَّا بالبروتينات! كيف ينشأ نظامان مُختلفان مُستقلَّان عشوائياً في الوقت الذي يحتاج كلّ منهما للآخر لوجوده ووظيفته؟! لم يبق إلَّا القول بأنَّ الإله الخالق قد أوجد المُركَّبين دون احتياج أحدهما للآخر.

← لُغة الإنسان كظاهرة جديدة تماماً في مُقابل العشوائية أو الصُّدفة!

تُعتبر اللُّغة أحد أهمّ النَّشاطات العقلية التي تُميِّز الإنسان، ويستخدم الإنسان المُعاصر اللُّغة بشكل تلقائي، وببساطة شديدة، بحيث يبدو التَّفكير في ماهيتها أمراً لا معنى له!

إنَّ ما أثبته العلم من عجز التَّطوُّر العشوائي عن إنشاء لُغة الإنسان، وما أثبته كذلك من انبثاق اللُّغة الإنسانية كظاهرة جديدة تماماً، لا يدع لنا إلَّا قولاً واحداً لتفسير هذه النَّشأة، وهو الخلق الإلهي المُباشر!

يُخبرنا الله تعالى في قرآنه الكريم عن اكتساب الإنسان لخمس مهارات مُتتابعة تُشكِّل جوهر اللُّغة الإنسانية، وهذه المهارات هي:

١. التَّرميز: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، يعني أنَّه تعلَّم أن يُطلق على كلّ شيء اسماً، سواء كان شيئاً مادِّياً، أو شيئاً غير مادِّي، أو معنى مُجرَّداً. والقُدرة على التَّرميز من أرقى الملكات العقلية الإنسانية التي لا يُمارسها سواه، وتُعتبر أحد الفروق الجوهرية بين الإنسان وغيره من الكائنات.

٢. ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤]، والبيان هو صياغة الأفكار بتعقُّل وتبعاً لقواعد، ويستعمل الإنسان في ذلك الرُّموز التي اطلقها على الأشياء، كما يستعمل قواعد اللُّغة المُبرمجة في عقله.

٣. النُّطق ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣].

٤. السَّمع ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

٥. العقل ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٨].

النَّشاطات العقلية تتجاوز قدرات التَّطوُّر الدارويني العشوائي، كما أنَّ مُمارستها تتجاوز قدرة الآلية الكهروكيميائية للمُخّ المادِّي، ولا تدع للمُنصفين الموضوعيين مفرًّا من الإقرار بدور غيب في النَّشاطات العقلية، كما تُخبرنا الدِّيانات السَّماوية، وهو ما وصفه القرآن الكريم بقوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩].

← الكون كلُّه مُسخَّر للإنسان وخدمته!

المبدأ البشري Anthrobic Principle: ثوابت الكون الفيزيائية قد تمَّ ضبطها بدقَّة بحيث تسمح بظُهُور الحياة على كوكب الأرض، بل وظُهُور الإنسان أسمى الكائنات.

الإله قد صمَّم الكون وكوكب الأرض على هذا التَّوافق المُذهل ليكون مُناسباً لنشأة الحياة بصفة عامَّة وظُهُور الإنسان بصفة خاصَّة، وهو ما يُعرف في الإسلام بمفهوم التَّسخير، أي تسخير كلّ ما في السَّماوات والأرض لخدمة الإنسان.

تعبير بعض العُلماء المؤمنين الغربيين لمعنى التَّسخير: كيف يستطيع كون خال من الغائية أن يخلق إنساناً تُحرِّكه الغائية والأهداف؟! يبدو أنَّ الكون قد تمَّ تفصيله على مقاس الإنسان! يبدو أنَّ الكون كان يعلم أنَّنا قادمون!

نصائح في مُواجهة الإلحاد

- **يجب دائماً الرَّبط بين العِلْم والإيمان، وأنَّ الإيمان قائمٌ على أساسٍ علميّ راسخ!**

جاء الحديث القُرآني عن العلماء الذين هم الأكثر خشية لله في سياق الحديث عن العُلُوم الكونية الطَّبيعية، وليس العُلُوم النَّظرية، في سياق الحديث عن عُلُوم: الماء، والسماء، والنبات، والجيولوجيا، والإنسان، والحيوان، والحشرات ... إلخ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[فاطر: ٢٧-٢٨]

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] إذا كانت الآية تتحدَّث عن القرآن الكريم، فإثبات أنَّ القرآن حقّ يعني بداهةً أنَّ الإله الذي أرسله حقّ!

أينشتين يتكلَّم عن العلاقة بين الإيمان والعِلْم: «**يُغذِّينا العِلْم بشُعُور ديني عميق يختلف عن الشُّعُور الدِّيني السَّاذج عند كثير من النَّاس، بل إنَّني لا أتصوَّر عالماً حقيقياً لا يستشعر ذلك! يُمكن تشبيه الموقف بصورة مُجسَّدة: العِلْم دون الإيمان أعرج! والدِّين دون العِلْم أعمى!**».

- **بيان عجز العِلْم عن معرفة بعض الأمور (ما هو تعريف العِلْم؟!)**

من تعريفات العِلْم Science: منهج يتعامل مع ما يوجد ويتكرَّر في الطَّبيعة بشكل طبيعي وتحكمه قوانينها.

هذا التَّعريف للعِلْم يُخرج كلّ عُلُوم البِدايات كبداية الكون من حظيرة العِلْم، فالبدايات لا يُمكن تكرارها وليس لدى العِلْم تفسير لخُرُوج الوُجُود من العَدَم. ومن ثمَّ ليس هُناك مفرّ من طرح التَّدخُّل الإلهي كآلية لنشأة الكون!

- **بيان أنَّ هُناك غاية كُبرى بالتَّأكيد وراء وجودنا وحياتنا على الأرض!**

كلّ ما يقع في الكون من أحداث وكلّ ما يقوم به الإنسان من نشاطات يجمع بين الآلية والغائية!

فأنتَ تتناول الطَّعام بآلية البلع للاستمتاع بطعمه ولتحصيل الطَّاقة (غائية). كذلك فأنتَ تستخدم السَّيارة (آلية) لتوصيل أولادك إلى المدرسة (غائية).

- **بيان حاجة العِلْم إلى الإله!**

وقع المادِّيُّون في خطأين جسيمين: فهموا أنَّ الإلحاد ضروري لممارسة العِلْم الحقيقي، واعتقدوا أن نزع القداسة عن الكون يعني عدم وجود خالق للكون!

عندما اكتشف إسحاق نيوتن قوانين الحركة والجاذبية لم يقل: لقد اكتشفت الآليَّات التي تتحرَّك بها الأجرام إذاً لا داعي لوجود الإله! بل زادته اكتشافاته إعجاباً بالإله الذي وضع هذه الآليَّات المُحكمة!

إنَّ عقيدتنا أنَّ الإله قيُّوم على الكون! يقوم بإمداده بالإيجاد وبتفعيل قوانين الطَّبيعة في كلّ لحظة ولا يغفل عنه. ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة : ٣٦]، ﴿اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ [البقرة : ٢٥٥].

الثَّورة العِلْمية في ظلّ الحضارة الإسلامية حدثت لسببين: تأكيد القرآن الكريم على انضباط الكون (السُّنَن الكونية)، دعوة القرآن الكريم للنَّظر في الآفاق والأنفس.

تلخيص العلاقة العميقة بين العِلْم والدِّين: الإنسان تبنَّى العِلْم عندما توقَّع أنَّ الطَّبيعة تتَّبع قوانين ثابتة، وقد حدث ذلك عندما آمن بالإله الواحد واضع القوانين!

إنَّ مبدأ انتظام الطَّبيعة يقوم على «**الإيمان**» الذي لولاه ما قام العِلْم، الإيمان بانتظام الكون واتِّباعه لقوانين ثابتة.

لا نجد تعارضاً حقيقياً بين أيّ من حقائق العِلْم ونظريَّاته الرَّاسخة، وبين ثوابتنا الدِّينية!

العِلْم والدِّين الإسلامي لا يتعارضان لكنَّهما يتكاملان! والإله يقف وراء قصَّة العِلْم كلِّها! من النِّظام المُدهش والانضباط والمصداقية والقابلية على الفهم والتَّنبؤ!

- **طلب الإنصاف والعَدل ومُراعاة أنَّ الإلحاد قد يكون وهماً كبيراً كما يدَّعي المُلحد أنَّ الإله وهمٌ**

عالم النَّفس الألماني «**مانفريد كيوتز**» يقول: «**الإيمان بالإله يُعتبر وهماً إذا كان الإله حقًّا غير موجود! أمَّا إذا كان الإله موجوداً يُصبح الإلحاد هو الوهم! إذ يُعتبر هروباً من الحقيقة! رغبةً في عدم لقاء الإله يوم القيامة خوفاً من الحساب! وبذلك يصبح الإلحاد آلية دفاعية هروبية خشية أن يُواجه الإنسان نتائج أفعاله!**».

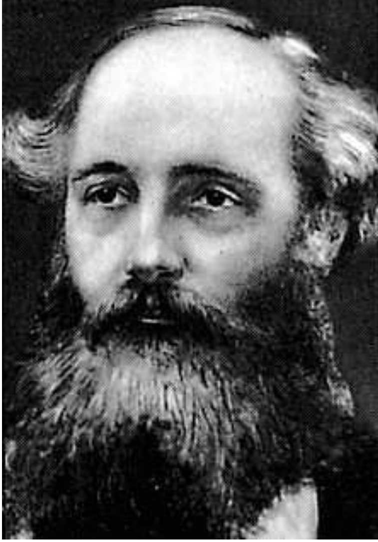
- **بيان أنَّ كبار عُلماء الثَّورة العلمية كانوا يؤمنون بوجود خالق!**

مُعظم العُلماء الكبار الذين قامت على أكتافهم الثَّورة العلمية التي نقلت أوروبا من العُصُور الوُسطى إلى العُصُور الحديثة كانوا يؤمنون بوجود إله!

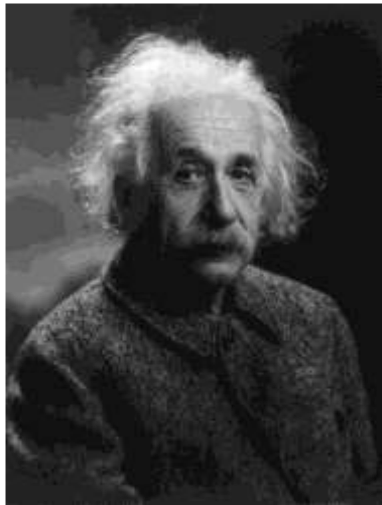
العُلماء الكبار أصحاب الثَّورة العلمية كانت تُحرِّكهم القناعة بأنَّ الخالق الذي أمدّنا بالحواسّ والعقل والذَّكاء يُريدنا أن نستخدمها للتوصُّل إلى المعرفة!

جاليليو جاليلي Galileo Galilei (١٥ فبراير ١٥٦٤م – ٨ يناير ١٦٤٢م) عالِم فلكي وفيلسوف وفيزيائي إيطالي، ولد في بيزا في إيطاليا اكتشافاته: صناعة المنظار – أوضح خطأ الكثير من النظريات السائدة في أيامه وإثبات دوران الأرض حول الشَّمس وحول محورها أيضاً وغير ذلك من الأمور الخاصَّة بعلم الفلك.	
إسحاق نيوتن Isaac Newton (٢٥ ديسمبر ١٦٤٢م – ٢٠ مارس ١٧٢٧م) عالم إنجليزي يُعَدّ من أبرز العُلماء مساهمة في الفيزياء والرياضيات عبر العُصُور وأحد رُمُوز الثَّورة العلمية! اكتشافاته: صاغ قوانين الحركة وقانون الجذب العام ومعظم مبادئ الميكانيكا الكلاسيكية – شارك في وضع أسس التفاضل والتكامل.	
بليز باسكال Blaise Pascal (١٩ يونيو ١٦٢٣م – ١٩ أغسطس ١٦٦٢م) فيزيائي ورياضي وفيلسوف فرنسي اشتهر بتجاربه على السوائل في مجال الفيزياء، وبأعماله الخاصة بنظرية الاحتمالات في الرياضيات. اكتشافاته: اخترع الآلة الحاسبة – مُخترع ما يُسمَّى بـ قانون باسكال – ساعد في وضع نظرية الاحتمالات – مُخترع مع يُسمَّى بـ مُثلَّث باسكال.	

روبرت بويل Robert Boyle (٢٥ يناير ١٦٢٧م – ٣٠ ديسمبر، ١٦٩١م) عالم إيرلندي يُعدّ من أبرز الذين عملوا في مجال الغازات. اكتشافاته: تطوير مضخة هوائية لدراسة العلاقة بين الضغوط والحجوم للغازات المختلفة ووضع القانون الذي يعرف الآن باسمه – أول من قام بفصل الميثانول من بين المنتجات الناتجة عن التقطير الاتلافي للخشب – أول من وضع تعريف للعنصر.	
مايكل فارادي Michael Faraday (٢٢ سبتمبر ١٧٩١م – ٢٥ أغسطس ١٨٦٧م) عالم كيمائي وفيزيائي إنجليزي من المشاركين في علم المجال الكهرومغناطيسي والكهروكيميائي. اكتشافاته: وضع أسس الكهرومغناطيسية – مكتشف نظرية المحاثة والنفادية المغناطيسية وقوانين التحليل الكهربائي – القائل بأن المغناطيسية تؤثر على الأشعة الضوئية ووضع أسس الربط بين هذين الظاهرتين – يعد اختراعه للأجهزة الكهرومغناطيسية بداية لتكنولوجيا المواتير الكهربائية – أول من جعل الكهرباء شيء عملي لاستخدام التكنولوجي – أول من اكتشف البنزين – اخترع آلة حرق البنزين – له قوانين وثوابت كثيرة باسمه.	
غريغور مندل Gregor Mendel (٢٠ يوليو ١٨٢٢م – ٦ يناير ١٨٨٤م) هو أبو علم الوراثة وعالم نبات وراهب نمساوي. اتكشافاته: أدت تجاربه في تكاثر نبات البازلاء إلى تطور علم الوراثة وكانت	

تجاربه هي الأساس لعلم الوراثة الذي يشهد تقدماً في عالم اليوم.	
لوي باستير Louis Pasteur (٢٧ ديسمبر ١٨٢٢م – ٢٨ سبتمبر ١٨٩٥م) عالم كيميائي فرنسي وأحد أهم مؤسسي علم الأحياء الدقيقة في الطب. اكتشافاته: بحث أسباب الأمراض وسبل الوقاية منها – اكتشافاته الطبية خفَّضت مُعدَّل وفيّات حُمَّى النِّفاس وإعداد لقاحات مُضادَّة لداء الكلب والجمرة الخبيثة – مُخترع البسترة – أحد أهم مؤسسي علم الأحياء المجهرية – العديد من الاكتشافات في مجال الكيمياء.	
جيمس ماكسويل James Maxwell (١٣ يونيو ١٨٣١م – ٥ نوفمبر ١٨٧٩م) عالم فيزياء بريطاني شهير لما أسهم به من معادلات هامة التي تفسر ظهور الموجات الكهرومغناطيسية. اكتشافاته: أكثر علماء القرن التاسع عشر تأثيراً على علم الفيزياء – وفي تصويت حول أعظم الفيزيائيين على مر التاريخ جرى في نهاية الألفية الثانية واشترك فيه ١٠٠ من أبرز علماء الفيزياء جاء ماكسويل في المركز الثالث بعد نيوتن وأينشتاين مباشرة.	

العلماء الكبار مؤسّسي الفيزياء الحديثة والحاصلين جميعاً على جائزة نوبل كانوا من الذين آمنوا بوجود إله!

ألبرت أينشتاين Albert Einstein (١٤ مارس ١٨٧٩م – ١٨ أبريل ١٩٥٥م) ألماني سويسري أمريكي الجنسية يهودي الخلفية أحد أهم العلماء في الفيزياء. اكتشافاته: واضع النظرية النسبية الخاصة والنظرية النسبية العامة هما اللبنة الأولى للفيزياء النظرية الحديثة – مُفسِّر العديد من الظواهر العلمية – ذكائه العظيم جعل من كلمة "أينشتاين" مُرادفاً لـ "العبقرية".	
ماكس بلانك Max Planck (٢٣ أبريل ١٨٥٨م – ٤ أكتوبر ١٩٤٧م) عالم فيزياء ألماني، يُعتبر مؤسِّس نظرية الكمّ، وأحد أهمّ فيزيائيّ القرن العشرين. اكتشافاته: اكتشف ثابتا طبيعيا من أهم الثوابت الفيزيائية وهو "ثابت بلانك" – أعلن أن طاقة الموجات الضوئية تقفز بصورة غير متصلة. وأنها مكونة من كموميات، ومفردها: كم.	
فيرنر هايزنبيرغ Werner Heisenberg (٥ ديسمبر ١٩٠١م – ١ فبراير ١٩٧٦م) كان فيزيائيًا ألمانيًا وحائزًا على جائزة نوبل عام ١٩٣٢م. اكتشافاته: مبدأ عدم التأكد في ميكانيكا الكم.	



إرفين شرودنغر Erwin Schrödinger

(١٢ أغسطس ١٨٨٧م – ٤ يناير ١٩٦١م)

هو فيزيائي نمساوي معروف بإسهاماته في ميكانيكا الكم.

اكتشافاته: معادلة شرودنجر والتي حاز من أجلها على جائزة نوبل في الفيزياء عام ١٩٣٣م.



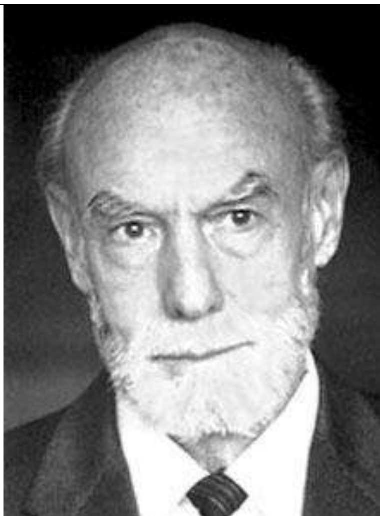
بول ديراك Paul Dirac

(٨ أغسطس من سنة ١٩٠٢م – ٢٠ أكتوبر ١٩٨٤م)

فيزيائي بريطاني وأحد مؤسسي ميكانيكا الكم.

اكتشافاته: قام بتطوير نظرية فزيائية أعم تشمل في صلبها نظريات هايزنبارغ وشرودنغر كحالات خاصة – معادلة ديراك.

كبار عُلماء المُخّ والأعصاب الحاصلين أيضاً على جائزة نوبل كانوا من الذين آمنوا بوجود إله!



روجر سبيري Roger Sperry

(٢٠ أغسطس ١٩١٣م – ١٧ أبريل ١٩٩٤م)

عالم أعصاب وعالم نفس عصبي أمريكي حاز على جائزة نوبل في الطب عام ١٩٨١م.

اكتشافاته: أبحاثه في مجال انقسام الدماغ.

ويلدر بنفيلد Wilder Penfield (٢٦ يناير ١٨٩١م – ٥ أبريل ١٩٧٦م) جراح أعصاب كندي له أبحاث كثيرة في مجال طريقة عمل المخ. اكتشافاته: إنشاء خرائط لمراكز مُختلفة من الدماغ.	
تشارلز شرينغتون Charles Sherrington (٢٧ نوفمبر ١٨٥٧م – ٤ مارس ١٩٥٢م) عالم بريطاني بحث في مجالات الفزيولوجيا العصبية وعلم الأنسجة وعلم الأحياء الدقيقة وعلم الأمراض. اكتشافاته: حصل على جائزة نوبل في الطب لعام ١٩٣٢م مناصفة مع مواطنه إدغار أدريان.	
جون اكليس John Eccles (٢٧ يناير ١٩٠٣م – ٢ مايو ١٩٩٧م) عالم أسترالي بحث في مجالات الفزيولوجيا العصبية. اكتشافاته: فاز عام ١٩٦٣م بجائزة نوبل في الطب.	

مصائب دين الإلحاد!

«**ريتشارد شرويدر**» أستاذ الفلسفة في برلين يقول: «**إنَّ الكاتدرائيات المُقدَّسة أعلى من أن تجرفها الجرَّافات، لذلك فضَّل «ستالين» في الاتِّحاد السوفيتي، و «ماوتسي تونج» في الصِّين، تفجيرها بالدِّيناميت! وينبغي ألَّا نغفل عن مُحاولات إقامة الشيوعية في العالم التي كلَّفت البشرية مقتل أكثر من ٩٤ مليوناً من البشر من المُسلمين والمسيحيين، ممَّا يجعلها أكثر المُحاولات الفاشلة كُلفة في التَّاريخ**».

العلاقة بين الماركسية والإلحاد:

قول «**ماركس**» الذي اشتهر عنه: «**لا يُعتبر الإنسان مُستقلَّاً إلَّا إذا صار سيِّد نفسه، أمَّا الإنسان الذي يحيا بدعم خارجي فليس إنساناً مُستقلَّاً، ويُعتبر الإنسان تابعاً كاملاً لآخر إذا كان له بوجوده الأوَّل وباستمرارية حياته، لذلك فإنَّ محو الدِّين كمصدر للسَّعادة المُتوهَّمة هو الطَّريق لتحصيل السَّعادة الحقيقية**».

في كتاب «**إله هتلر**»، يُبيِّن المُؤرِّخ «**مايكل ريسمان**» أنَّ هتلر اعتبر قوانين الطَّبيعة التي تعمل في الكون هي الإله.

أفكار هامَّة في مُواجهة الإلحاد!

- كيف يصير الأمر لو استجاب اللهُ تعالى لكلّ تحدٍّ يطرحه مُلحد؟! لا شكَّ أنَّ الحياة ستصير مهزلة، ويُصبح المُلحدون هُم الآلهة!
- إنَّ قواعد المنظومة (أو اللعبة كما يقولون) يضعها الإله الخالق، وليس للعبد المخلوق إلَّا الطَّاعة والالتزام!
- من أهمّ الفوارق التي لا ينتبه إليها المُراهقون أنَّ الإله ليس كمثله شيء، أيّ أنَّه مُختلف تماماً عن البشر، ومن هذه الاختلافات أنَّه لا يفعل لغاية أو احتياج مثلما يفعل الإنسان.
- إنَّ الإنسان إذا أقدم على فعل شيء دون سبب عددناه أبلهاً! فهل يُعقل أن يخلق الإله الوجود والإنسان دون حكمة أو غاية؟!
- إذا كُنَّا مخلوقين لغاية، ألا يكون من الظُّلم ألَّا نُوَجَّه إليها عن طريق الدِّيانات السَّماوية؟!
- القائلين بالربوبية المُنكرين للدِّيانات هُم والملاحدة سواء بسواء! إذ إنَّ إنكار الدِّين يُفرغ الألوهية من جوهرها، وهو تكليف الإنسان عن طريق الدِّين بأوامر ونواه، وما يعقب الموت من بعث وحساب وجزاء.

- الإسلام يتبنَّى المفهوم الذي يجمع بين الجمال والجلال، ولا يكتفي بأنَّ الله محبَّة كما يعتقد المسيحيون! أو أنَّه غضوب فقط كما يعتقد اليهود! فلله الأسماء الحُسنى جميعاً، جمالها وجلالها! ومن لم يعرف ذلك فمعرفته بالإله ناقصة!
- **شاب مُلحد قال:** لقد تكرَّرت كلمة العذاب بمُشتقّاتها في قرآنكم قُرابة أربعمائة مرَّة، رُبَّما أكثر من أيّ كلمة أخرى، أليس في هذا دليل على القسوة الشَّديدة؟!
- **قلتُ له:** إنَّك تقلب الأمور، وتجعل الرَّحمة قسوة! أما كان ينبغي ان تقول إنَّ الله حذَّرنا أربعمائة مرَّة، وفي كلّ مرَّة وصف لنا طريق النَّجاة؟!
- أمر الله لإبراهيم عليه السلام بأن يذبح ابنه! هل طلب الله ذلك من إنسان آخر سوى إبراهيم؟ بالطبع لا! الطَّلب كان ذبحاً لتعلُّق إبراهيم عليه السلام بابنه، وما كان الله عزَّ وجلَّ ليدع إبراهيم عليه السلام يقتل وحيده! بل كان جزاء إخلاص إبراهيم عليه السلام أن صار خليلاً للرَّحمن، وأن أصبح موقفه هذا عيداً تحتفل به البشرية كلّ عام حتى يوم القيامة!
- إنَّه خطأ معرفي أن أُعمِّم تقصير البعض، فأنتقل به من عيب المُمارسة إلى عوار المنظومة كلّها!
- هدف الدِّين أن يُعرِّف الإنسان بربِّه أوَّلاً، ثمَّ بمصدره هو ومساره ومآله، ثمَّ بمصدره هو ومساره ومآله، ولا يتحقَّق حُسن المآل إلَّا بتحصيل رضا الله تعالى، والسَّبيل إلى ذلك تعمير الأرض والخُلق الحسن، بشرط أن تكون أفعال العبد ابتغاءً لمرضاة الله تعالى. أمَّا إن لم نضع هذه الغاية في اعتبارنا، فستظلّ أفعالنا – مهما حسنت – بعيدة عن أن تُحقِّق للإنسان حُسن المآل، وعلى الإنسان أن يُحصِّل مُكافأته ممَّن عمل لأجلهم!
- الدَّليل الحسِّي الذي تطلبه هو أضعف الأدلَّة! فالحسّ خادع، إلَا ترانا نبصر قوس قزح ونبصر السَّراب وهُما ليسا موجودين!
- من مُشاهدة المُناظرة، ومُعاينة قُوَّة الحُجج العلمية والفلسفية، وعجز المُلحد عن دفعها، تتأكَّد من أنَّ المُلحدين مُجرَّد أقزام مُدَّعون، وأنَّ الدِّين عظيم، وأنَّ حُججه لا تُدفع، بشرط أن يُحسن عرضه.
- ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات : ٥٦]. والعبادة هُنا بمعنى المعرفة، أيّ أنَّ معرفة الله هي الغاية من وجودنا الدُّنيوي. ويتفرَّع من معرفة الله تعالى عبادته بالمعنى المُباشر للعبادة، من القيام بطقوس العبادات، والتزام بالأوامر، واجتناب للنَّواهي، وكذلك تعمير الأرض. وبناء على ذلك تُصبح

الحياة الدُّنيا بمثابة لجنة اختبار لمعرفة مدى ما حقَّقه العبد من إدراك لأسماء الله تعالى وصفاته بجمالها وجلالها، وبمدى طاعته لربِّه في القيام بالعبادات والالتزام بالأوامر واجتناب النَّواهي وإقامة الحضارات.

- يقوم الإلحاد على خطأين كبيرين، علينا أن نبذل جُهداً هائلاً لمحوهما من عُقُول ونُفُوس الملاحدة، وهُما أنَّ الإيمان الدِّيني في كلّ حالاته أعمى، وأنَّ العلم ليس فيه ذرَّة إيمان.
- ينبغي التَّعامُل مع الشُّكوك التي تعتمل في نفوس البعض بالرِّفق واللِّين والحوار، وليس بالزَّجر والتأنيب، وهي من العوامل التي دفعت القصيمي للإلحاد!
- لا فرق في النِّهاية بين مُنكري الألوهية ومُنكري الدِّيانات (الرُّبوبيِّين)! فبإنكار الإله ينتفي الدِّين، وبإنكار النُّبوَّة ينقطع كلّ سبيل إلى الألوهية ذاتها! وفي النِّهاية سيتلاشى في الحالين القول بالبعث وما يتبعه من ثواب وعقاب، وما يتطلَّبه ذلك من الالتزام بطاعات والانتهاء عن معاص، وهذا هو جوهر ما يهتم به الملاحدة بكلّ أصنافهم.
- الفكر لا يُقاوم بالقهر، لكنَّ الفكر ينبغي أن يُقاوم بالفكر.

مشاكل نفسية قد تؤدِّي إلى الإلحاد!

- **إلحاد خالف تُعرف**

ابن فشل في تحقيق ما حقَّقه إخوته من تفوُّق في مجال الدِّراسة، ومال إلى الحديث مع الآخرين في قضايا الألوهية، ثمَّ تبنَّى الإلحاد بشكل كامل، وعندما حاورته لمست فخره بأنَّ ذلك جعله حديث المدرسة، طلبتها ومدرِّسيها، بل وجعله يُجالس ويُحاور عدداً من العُلماء والمُفكِّرين استجابةً لوساطة والده، على أمل أن يردُّوه عن إلحاده. إنَّ مُخالفة أعراف المُجتمع ومفاهيمه وقيمه المُستقرَّة هي أيسر الطُّرُق لتحقيق ذيوع الصِّيت والشُّهرة بين الأخران والآخرين.

ما تقول في الطَّالب الذي لا يستذكر دروسه، لأنَّ حياته سعيدة مُستقرَّة دون مُذاكرة، ولأنَّه لا يشعر بحاجة لبذل الجُهد والمُعاناة في ذلك؟ إنَّ هذا الطَّالب لا يستحضر أنَّ هُناك عواقب لحياته السَّعيدة تلك، ألَا ينبغي على والديه ومُدرِّسيه أن يُوجِّهاه إلى ما فيه مصلحته، حتى وإن كانت المُذاكرة على غير هواه، وحتى إن كان لا يُدرك أهمية ذلك الآن؟

- **إلحاد الجبر والتَّسيير!**

لهؤلاء قلتُ: لو مش عاجبك انسحب من اللعبة!

قال: كيف؟!

قلتُ: بالانتحار! وليس هُناك عاقبة تخشاها! فأنتَ لا تؤمن بالبعث والحساب! **وأضفتُ:** إنَّ عدم إقدامك على الانتحار لهو أكبر دليل على رضائك على خلقه لك، حتى إنَّك قبل أن تعبر الشَّارع تنظر يمنة ويسرة عدَّة مرَّات حفاظاً على حياتك.

أفحمته حُجَّتي، **فقال:** رُبَّما يكون هُناك شيء ممَّا تقول، عندها سيُعذِّبني إلهك الذي يُعاملنا كالعبيد!

قلتُ له: أخيراً وصلت إلى الحقيقة! فعلاقة الله بنا هي علاقة السيد بالعبد، وهذا ما تُحاول دائماً التَّملُّص منه!

- **إلحاد التَّعنُّت والسَّفه!**

قال شابٌّ لي: كيف يُعطيني الإله غرائز ثمَّ يُطالبني ألَّا أستعملها؟! وكيف يُطالبني أن أخسر نقودي باسم الزَّكاة؟! وأن أخسر وقتي وجُهدي باسم الصَّلاة؟! وأن أخسرها جميعاً باسم الحجّ والعُمرة؟!

قلتُ له: إنَّ الإنسان ليس بهيماً تُحرِّكه الغرائز وفقط، إنَّ ما طُلب منَّا هو توجيه هذه الغرائز وترشيدها، وفي ذلك ترقية للنَّفس وسموّ للرُّوح!

تذكَّر قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (البقرة: ١٣٠)

عندما سُئل «**القصيمي**» عن سبب تحوُّله، أجاب بأنَّه عندما بدأ يُراجع نفسه وعقيدته بميزان العقل، وجد من المشايخ ورجال الدِّين كلّ هُجُوم وتعنيف وازدراء، بدلاً من التَّفهُّم والنُّصح والتَّوجيه، فدفعه هذا الموقف إلى العناد! ما أحكم المصريين حين قالوا في أمثالهم الشَّعبية: «**العند يُورِّث الكفر**»، وقد كان!

- **إلحاد المُحامي الفاشل!**

من أقوال الشيخ محمد الغزالي: «**إنَّ الإسلام قضية حقّ مُحاميها مُقصِّر خائب**».

بعض شباب الملاحدة عاتبوا بشدَّة الخطاب الدِّيني، خاصَّة بعد ثورات الرَّبيع العربي، وعاتبوا أيضاً على أداء تيَّار الإسلام السِّياسي، وكانت الخطوة التالية أن حمَّلوا الإسلام كدين أخطاء هذه المُمارسات.

- **الانبهار بالغرب الكافر!**

المُليحد د. إسماعيل أدهم يُوضِّح تأثير دراسته وحياته بالاتِّحاد السوفيتي قائلاً: وكانت نتيجة هذه الحياة أنِّي تنكَّرتُ للأديان، تخلَّيت عن كلّ المُعتقدات، وآمنت بالعلم وحده، وبالمنطق العلمي. ولشدَّة دهشتي وعجبي أنِّي صرتُ أسعد حالاً وأكثر اطمئناناً من حالي حينما كنتُ أغالب نفسي للاحتفاظ بمُعتقد ديني.

عام ١٩٤٠م، عُثر على جثَّة إسماعيل أدهم طافية فوق مياه بحر الإسكندرية، وفي معطفه خطاب وجهه لرئيس النِّيابة يُبيِّن فيه أنَّه انتحر لزُهده في الحياة وكراهيته لها، ويُصي بعدم دفن جثته في مقبرة المُسلمين، ويطلب إحراقها!

أين السَّعادة والاطمئنان اللذين استشعرهما أثناء إلحاده؟!

مُعضلة الشَّر والألم!

- رُبَّما كانت هي أهمّ الحُجج العقلية والفلسفية التي يطرحها الملاحدة لتدعيم إنكارهم لوجود الإله.
- عاد أنتوني فلو إلى دائرة الإيمان، وأعلن أنَّ وجود الشرور والألم في حياة البشر لا ينفي الوجود الإلهي، ولكنَّه يدفعنا لإعادة النَّظر بخصوص الصِّفات الإلهية، ومهما تعدَّدت أطروحتنا لتفسير هذه المُعضلة، فسيظلّ التَّفسير الدِّيني هو الأكبر قبولاً، والأكثر انسجاماً مع طبيعة الحياة.

حقائق حول الإيمان الدِّيني!

- الإيمان بالله واليوم الآخر هو الذي يُعطي الإنسان شُعُور بالطَّمأنينة والرَّاحة!

الإلحاد يفترس طمأنينة النُّفُوس البشرية في مُجتمعات غربية تتمتَّع بأعلى مُستويات المعيشة والإشباع للشَّهوات، فتشهد – مع ذلك – أعلى مُستويات القلق والانتحار!

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصَّالِحات